خصوم الدعوة

فى المدينة

ا . د/ حسن عبد الحميد حسن
عميد الكلية

مقـــدمة

احمد اللـه تبارك وتعالى وأصلى وأسلم على خاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه واستفتح بالذى هو خير «ربنا لا تزغ قلوبنـا بعـد اذ هديتنا وهـب لنا من لدنك رحـمـة انك أنت الوهاب » .

وبعد

فلقد بزغ فجـر الاسلام فى مكة ليعلن للبشرية بداية عـهد جديد تتحول فيه من دياجير الظلـمة وأوضار الشرك وضلالات الجاهلية الى نور الايمان بالله عز وجل والاقرار بوحدانيته .

وقد واجـه الرسول (ﷺ) وأصحـابه من خصـوم الدعوة وهم كفار قريش موجات عاتية من التحديات وألوانا مختلفة من الصراعات وصنوفا عـديدة من البطش والتعـذيب والتنكيل فى محـاولات يائسة لاطفاء نور الدعوة وعرقلة مسيرتها وإضعاف شوكة المؤمنين بها . وقد بذلوا فى ذلك جل ما لديهم من رجال وأمـوال ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (١).

بدأت تلك التـحديات للدعـوة وصاحـبهـا فى مكة يوم أن أعلن رسـول الدعوة (ﷺ) على مـسامع قـريش أنه رسـول من عند الله الواحد الأحد أرسله ليبلغ دعوته إلى الناس كافة . « قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعاً» أما هدفها فهو تخليص النفوس من براثن الشرك ومعتقدات الاباء والأجداد وتحرير العقول من أسرها وجحودها وتنقية القلوب من غشاوات المادة التى رانت عليها امدا طويلا فحجبتها

(١) الآية ٨ سورة الصف .

عن نور الإيمان وحالت بينها وبين ادراك جوهر الفطرة القويمة .

لكن قريشا لم تستجب لتلك الدعوة فاعلنت الحرب عليها والتصدى لمحمد (ﷺ) والمؤمنين بدعوته ووضع العقابيل أمام نشر تلك الدعوة .

ظل الرسول (ﷺ) يدعو الى الله بمكة زهاء ثلاث عشرة سنة وقد لاقى فى سبيل ذلك هو واصحابه ما تنثو به الجبال الراسيات . وكانوا يقابلون حلف قريش وتعذيبها لهم بالصبر والصمود والاستمرار فى تبليغ الدعوة دون يأس أو كلل مؤمنين بأن الله عز وجل سيمكن لدعوته فى الأرض وسيجعل لهم مخرجاً مما هم فيه .

﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾ (١) ﴿ فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ﴾ (٢) ثم شاءت ارادة الله عز وجل أن يمكن لدعوته ويحفظ رجالها فكان الأمر الإلهى للرسول (ﷺ) وأصحابه بالهجرة إلى المدينة .

وهاجر المسلمون إلى المدينة . ليتنفسوا الصعداء ولعلهم بتلك الهجرة ينتقلون الى طور جديد . . تختفى فيه الآلام وتزول الصراعات والاحقاد فهم- على أرض المدينة - وقد اسلم غالبية أهلها- سيشعرون بالأمن والطمأنينة . بعد ان تركوا مكة . وفيها خصمهم العنيد وعدوهم اللدود «قريش» .

ظن المسلمون ذلك . لكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام خصوم من نوع جديد . لا يقلون ضراوة وخطراً عن خصومهم

---

(١) الآية ٣٤ سورة الانعام .

(٢) الآية الاخيرة سورة الاعراف .

فى مكة . فهم منذ اللحظة الأولى لهجرة المسلمين الى المدينة . يعدون العدة للقضاء على الدعوة واصحابها والكيد لها . وبث الفتن حولها وبين المؤمنين بها . لقد أفزعتهم تلك الإنجازات السريعة التى قام بها الرسول (ﷺ) من بناء المسجد- وهو أساس الرابطة الدينية- والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار - وهو الدعامة الاجتماعية - واقض مضجعهم تلك المسيرة الوثابة للدعوة إلى الله فى المدينة وخارجها .

فدبروا مؤمراتهم الخسيسة ، ومكائدهم الخبيثة بهدف انحسار الدعوة ثم القضاء عليها .

لقد ترك المسلمون خصوماً لهم فى مكة . وهاهم يواجهون خصوماً من نوع جديد وإذا كان ما يجمع بين قوى الشرك فى مكة وبين خصوم الدعوة فى المدينة . هدف واحد . هو القضاء على الدعوة واضعاف شوكة القائمين بتبليغها إلى الناس . فان ثمة حقيقة نؤكدها هى : أن الأساليب التى انتهجتها قريش مع المسلمين - فى مكة - رغم قسوتها وضراوتها - كانت أقل خطراً على المسلمين من تلك التى خطط لها وحاول تنفيذها خصوم الدعوة فى المدينة- وهم اليهود والمنافقون .

فقريش قد أعلنت عدائها . أما المنافقون . فقد أعلنوا إسلامهم وأسروا عدائهم ونفاقهم . أعلنوا الإسلام لينفذوا الى صفوف المسلمين حتى يأمنوهم ويحسنوا الظن بهم . ومن ثم يحققون أغراضهم الخسيسة فى إيقاع الفتن بين المسلمين وتمزيق كلمتهم .

أما اليهود-وهم نفوس جبلت على الغدر والخيانة،والمكر والخديعة فقد كانوا-بطبيعتهم من ألد أعداء الدعوة خصومة وأشدها حقداً .

لقد أفزعهم ذلك التحول السريع فى مجتمع المدينة بعد هجرة الرسول (ﷺ) إليها هى الفتن التى كانوا يسعون إليها بين الحين والحين فى المدينة وبين قبائلها - مثل الأوس والخزرج - قد انتهت إلى غير رجعة والإستغلال المادى والمعنوى والسيطرة على «السوق» فى المجتمع واحتكاره والتعامل بالربا والإستغلال كل هذه الألوان المنحرفة والتى كان اليهود فى المدينة يمارسونها . قد إنحسرت فى نطاق ضيق. بين اليهودى وأخيه اليهودى فحسب .

وإلى جانب ذلك . فان نور الدعوة المحمدية قد بدأ يسطع لا على المدينة وحدها بل والبلدان والقبائل المجاورة لها . وهو أمر يقلق بال اليهود ويجعلهم أكثر غيظا وحنقا .

ومن ثم فان اليهود . لم يتركوا المسلمين لينعموا بالإستقرار على أرض المدينة - بعد مسيرة طويلة من الكفاح فى سبيل العقيدة - حتى بدأت عداواتهم تظهر ومخططاتهم تنكشف .

أما المشركون - من قريش - فقد ترامت إلى أسماعهم أخبار تلك المؤامرات وما تهدف اليه وهو القضاء على الإسلام . ففرحوا بذلك وبدأت الاتصالات بينهم وبين اليهود والمنافقين .

ولا غرو . فالهدف الذى يجمع هؤلاء . هو القضاء على الدعوة الإسلامية وأنصارها .

وأصبح المسلمون فى المدينة يواجهون جبهات ثلاث . اليهود، المنافقين ، قوى الشرك من قريش .

وسنحاول - فيما يلى - القاء الضوء على تلك الأنماط الثلاثة

وطباع كل منها وأساليبه فى القضاء على الدعوة وموقف المسلمين منهم.

المنافقون

النفاق :

مرض خبيث فى النفوس ينم عن فساد الطوية وضعف فى تكوين الشخصية . والمنافق . جبان . مخادع . يظهر خلاف ما يبطن ولو كان شجاعاً لا يظهر ما يخفيه.

« ومثل المنافق مثل حيوان خبيث هو الضب يعمل له جحراً فى الأرض يسمى النافقاء . له بابان إذا أراد صائده أن يدخل اليه من أحد البابين لوح له بذنبه أنه مقبل عليه ليطمعه. ثم يخرج من الباب الآخر يخدعه بذلك العمل . وهكذا المنافق . واشتقاقه من النافقاء وهو ذلك الجحر الذى يعمله الضب . أو هو إحدى جحرة اليربوع التى يعملها فى الأرض ظاهرة يراها الناس حتى إذا ذهبوا إليها ليطلبوه إذا به قد أعد جحرا آخر قد أخفاه عن الناس ليكون فيه . ذلك هو المنافق الذى يخادع الناس ويخادع المصلحين فى كل زمان وهذا مثله فى خداعه ونفاقه » (١).

بدأ ظهور المنافقين فى المدينة :

لما هاجر رسول الله (ﷺ) الى المدينة كان أهلها على أهبة المناداة لعبد الله بن أبى ملكا عليهم فتغير مجرى الحوادث على غير ما يهوى هذا الرجل فأقام مد وحوله جماعة من أنصاره وأصدقائه يقلبون

---

(١) دعوة الرسل للندوى ص ٤٥٥ .

الأمور ويبتغون الفتن لرسول الله (ﷺ) ولكن الله أعز جنده وأعلى كلمته . فاقبل بعضهم على بعض يوم بدر . وقالوا هذا أمر قد توجه: ورأوا الناس يدخلون فى دين الله ويقبلون على رسوله بالسمع والطاعة والمحبة فكرهوا أن يظلوا وحدهم فدخلوا فى الاسلام ظاهراً وبقيت قلوبهم على جحودها وغيظها . فكانوا يقومون بمهمة «الطابور الخامس» لليهود ولغيرهم من أعداء رسول الله (ﷺ) .

فأعلم الله رسوله بنبأ هؤلاء المنافقين بصفة عامة لا خاصة ليأخذ حذره فقال ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ (١).

ثم زاده معرفة بهم فقال ﴿ أم حسب اللذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم . ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾ (٢) .

مؤامراتهم ضد الدعوة :

تعددت مؤمرات المنافقين ضد الدعوة وتباينت أساليبها وعلى الرغم من ذلك فانها لم تنجح - مجتمعة - فى القضاء على الدعوة . حسب زعمهم ومن أبرز تلك المؤمرات :

١ - مسجد الضرار :

وهو المسجد الذى بناه المنافقون ليكون بمثابة موقع إستراتيجى يرصد من خلاله المنافقون تحركات المسلمين وقد بناه هؤلاء إستجابة لملك الروم «هرقل» بعد أن وعدهم بقتال المسلمين والنصر عليهم .

(١) الآية ١٠١ سورة التوبة .

(٢) الآيتان ٢٩، ٣٠ سورة محمد .

يقول تعالى فى شأن هذه الحادثة ﴿ واللذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين . لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع . قلوبهم والله عليم حكيم﴾[1].

كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله (ﷺ) إليها رجل من الخزرج يقال له: أبو عامر الراهب . وكان قد تنصر فى الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة فى الجاهلية وله شرف فى الخزرج كبير . فلما قدم رسول الله (ﷺ) مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية اظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فاراً الى كفار مكة من مشركى قريش يمالئهم على حرب رسول الله (ﷺ) فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله عز وجل . وكان رسول الله (ﷺ) قد دعاه الى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم وتمرد . فدعا عليه رسول الله أن يموت بعيداً طريداً . فنالته هذه الدعوة وذلك انه لما فرغ الناس من أحد . ورأى - أى أبو عامر - أمر رسول الله (ﷺ) فى ارتفاع وظهور ذهب الى هرقل ملك الروم يستنصره على النبى

(١) الآيات ١٠٦ - ١١٠ سورة التوبة .

(ﷺ) فوعـده ومناه . وأقام عنده وكتب الى جـماعة من قـومه من الأنصار من أهل النفاق والريب . أنه سيـقدم بجيش يقاتل به الرسول (ﷺ) ويغلبه ويرده عما هو فيه . أمـرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فـيه من يقـدم من عنده لأداء كتبـه ويكون مرصـداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك :

فشرعوا فى بناء مسجد مجاور لمسجد قباء . وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله (ﷺ) إلى تبوك . فـجاؤا فسألوا رسول الله (ﷺ) أن يأتى اليهم فيصلى فى مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره واثبـاته . وذكروا أنهم إنما بنوه للضعـفاء منهم وأهل العلة فى الليلة الشاتية . فوعدهم رسول الله (ﷺ) الصلاة فيه بعد العودة من تبوك » (١).

« فلما اقبل الرسول (ﷺ) من غزوة تبوك ونزل بذى أوان(٢) . أتاه خبر المسجد ونزلت عليه الآيات التى ذكرت سابقاً فدعا رسول الله (ﷺ) ملك ابن الدهشم أخـا بنى سالم بن عـوف ومعن بـن عدى فقـال انطلقا إلى هذا المسـجد الظالم أهله فـاهدماه وحرقـاه فخـرجا سريعين حتى أتيا بنى سـالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدهشم . فقال مالك لمعن : أنظرنى حـتى أخرج اليك بنار من أهلى فدخل الى أهله فأخذ سـعفا من النخل فأشـعل فيه نارا ثم خرجا يشـتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه » (٣).

« فأمر رسول الله (ﷺ) ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٨٧ .

(٢) بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار .

(٣) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٤٠٧ .

والقمامة ومات أبو عامر بالشام »[1].

٢ – ترويج الشائعات الكاذبة ضد المسلمين :

وهذا هو دأب النفاق فى كل زمان ومكان . فهم المسلمين وتشويه دعوتهم وقد اعملوا عقولهم وأجهدوا نفوسهم فى تأليف تلك الشائعات والترويج لها .

بيد أن الله عز وجل قد فضح أمرهم وبين للمسلمين أساليبهم وخططهم فى كثير من آيات القرآن الكريم . منها ﴿ لئن لم ينته المنافقون واللذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا﴾ ﴿ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾[2].

قال أبو السعود : المراد بالارجاف نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للأذية »[3] ومن الطبيعى أن وحدة المسلمين وتماسكهم واخوتهم كانت بمثابة الجبل الراسخ الأشم الذى لا تزعزه الرياح ولا تؤثر فيه الاعاصير . فهم كلما أطلقوا شائعة . أدرك المسلمون كذبها . فغدت هباء لا قيمة لها .

٣ – محاولاتهم فى تثبيط المؤمنين عن الجهاد فى سبيل الله

والآيات فى ذلك كثيرة منها ﴿ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا

---

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) الآية ٦٠، ٦١ سورة الأحزاب .

(٣) تفسير أبو السعود جـ٤ ص ٢١٩ .

يفقهون ﴾ [1] ﴿ هم اللذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ [2] .

روى الإمام أحمد عن زيد بن أرقم . قال : كنت مع رسول الله (ﷺ) فى غزوة بنى المصطلق فقال عبد الله بن أبى : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل « يعنى الأعز نفسه » وبالاذل رسول الله (ﷺ) - قال فأتيت النبى (ﷺ) فأخبرته : قال فحلفا عبد الله بن أبى أنه لم يكن شيء من ذلك . قال : فلامنى قومى وقالوا ما أردت إلى هذا ؟ قال : فأنطلقت كئيبا حزينا . قال فأرسل إلى نبى الله (ﷺ) فقال إن الله قد أنزل عذرك وصدقك فنزلت هذه الآية » [3].

وإلى جانب ذلك كانوا يلمزون اللذين يؤدون الصدقات للجهاد فى سبيل الله تطوعاً منهم لإعلاء كلمة الله ويسخرون من اللذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا قليلا - قدر جهدهم - زاعمين أن الله غنى عن هذه الصدقة القليلة .

جاء فى تفسير الطبرى : « أخرج مسلم عن أبى مسعود قال : أمرنا بالصدقة قال كنا نحامل « نحمل الحمل على ظهورنا بالأجرة ونتصدق من تلك الأجرة ونتصدق بها كلها » على ظهورنا . قال فتصدق أبو عقيل بنصف صاع . وجاء انسان بشيء أكثر منه فقال

---

(١) الآية ٨٦،٦٧ سورة التوبة .

(٢) الآية ٨ سورة المنافقون .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٧٠ .

المنافقـون إن الله لغنى عن صدقة هذا . وما فـعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت الآية وهى﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ﴿ واللذين لا يجـدون إلا جهدهم فـيسـخرون منهم سخـر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [1].

٤ – تاليبهم اليهود على المسلمين :

ولأن المنافقين يجتمعون – كما قلنا – مع اليهود فى خصاص منها الخبـث والمكر والخداع والعـداوة للإسلام . فليس بغـريب أن يتـحدوا معـهم وأن يقفـوا الى جانبهم فى حـربهم للمسلمـين وقد تجلى ذلك واضحـا فى دفعهم اليـهود الى محـاربة المسلمين وتأليبـهم عليهم بين الفينة والفينة .

يقـول تعـالى فى حـقـهم ﴿ ألم تر إلى اللذين نافـقـوا يقـولون لإخوانهم اللذين كفروا من أهل الكتـاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فـيكم أحـدا أبدا وإن قوتلتم لـننصرنكم والله يشهـد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون مـعهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولون الأدبار ثم لاينصرون﴾[2].

يقول ابن كثير « نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وأضرا به من المنافـقين حين بعـثـوا إلى يهـود بنـى النضـيـر يعـدونهم النصـر من انفسهم»[3].

ويقـول ابن اسحق « كـان رهط من بنى عوف من الخـزرج منهم عدو الله عـبد الله بن أبى ومـالك بن ابى قوقل وسـويد وداعس قد

---

(١) الآية ٧٩ سورة التوبة .
(٢) الآية (١١، ١٢) سورة الحشر .
(٣) سيرة النبى (ﷺ) لابن هشام جـ٣ ص ٢٦٣

بعثوا الى يهود بنى النضير يعدونهم النصر من أنفسهم »[1].

وقد حدث هذا أثناء محاصرة الرسول (ﷺ) لبنى النضير بعد أن تآمروا على محاربته وقتله .

موقف الرسول (ﷺ) من المنافقين :

لم يكن موقف الرسول (ﷺ) من هؤلاء المنافقين موقف الند للند . يقابلهم الإساءة باكثر منها سيما بعد أن عرف مؤامراتهم وأدرك مخططاتهم للقضاء على الدعوة ولكنه بعد ان عرف كل شيء عنهم إكتفى (ﷺ) بفضح اساليبهم الدنيئة وكشفها للمسلمين ليحذروهم ولا يأمنوا جانبا .

وقد وقف الرسول (ﷺ) من هذه الفئة موقفا لا يمكن لغيره أن يقفه معهم تجلى ذلك فى :

(أ) كان يترك الى الله تعالى سرائرهم ويعاملهم بما يبدوا من ظواهرهم جاءه منافق ليتوب من نفاقه فقال يا رسول الله : الإيمان على لسانى والنفاق فى قلبى ولا أذكر الله إلا قليلا فقال عليه السلام: اللهم أجعل له لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وارزقه حبى وحب من يحبنى وصير أمره الى خير. فقال الرجل يا رسول الله إنه كان لى أصحاب من المنافقين وكنت رأسا فيهم . أفلا آتيك بهم ؟. قال عليه السلام من أتانا استغفرنا له ومن أصر فالله أولى به ولا تخرقن على أحد ستره .

(ب) كان (ﷺ) يشفق عليهم من إثم ما يجرمون فإذا أنبأه الله من أمرهم شيئا إستدعى أحد أصحابه وقال له : أدرك القوم فانهم قد

(١) سيرة النبى (ﷺ) لابن هشام جـ٢ ص ٢٦٣ .

إحترقوا . فاسألهم عما قالوا . فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا كما حدث فى غزوة تبوك . لما حاولوا إرهاب المسلمين من الروم .

(جـ) كان (ﷺ) يشعرهم أن إغضائه عنهم هو إغضاء الكريم الذكى الفطره لا اغضاء الغفلة والبلاده . فكان أحيانا يغمزهم بما يكاد يكشف أمرهم فكلامهم غير كلام المؤمنين الصرحاء وأحوالهم غير أحوال المؤمنين المطيعين .

(د) وصف الرسول (ﷺ) ما هم عليه من الجبن وتفاهة القدر فى كثير من آيات الوحى التى نزلت عليه فى شأنهم . وكل منصف يرى أن إكتفاء القرآن الكريم بوصف حقيقتهم هو أعدل المواقف .

ولك أن تقدر ما كان يحل بهؤلاء الخونة المستترين لو أنهم كانوا فى دعوة من الدعوات الحديثة لترى السماحة التى قوبلت بها جرائمهم فطبيعة الموقف فى هذه الجبهة إن المنافقين كانوا يجهدون لإضعاف الروح المعنوية فى الجيش الإسلامى ويعملون لشق جماعتهم ويحاولون الغض من جلال الرسالة وتهوين شأنها فى قلوب الناس ويتصلون سراً باعداء الإسلام فى الداخل والخارج للقضاء عليه .

أما الرسول (ﷺ) فكان يقبل منهم ظاهر أمرهم ويترك الى الله سرهم ويشفق عليهم من إثم ما هم فيه ويكتفى بأن يشعرهم بفطنته التى لا يروج لديها نفاقهم ولا يوقع بهم من الآذى أكثر من وصفهم بالجبن والتفاهة دون أن يعرض لأشخاصهم بشىء »[1].

اليهود :

لا نريد الاسهاب فى الحديث عن اليهود وصفاتهم منذ خلقهم الله

(١) تذكرة الدعاة للبهى الخولى ٢٣٦، ٢٣٧.

تعالى. وحتى عصرنا الحاضر . فلقد أفاض القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية فى صفات هؤلاء وطبائعهم وأهمها الغدر ، والخيانة، والعداوة والبغضاء لغير جنسهم، والحسد والكذب . بل إن شئت فقل إنهم جمعوا رزائل الأخلاق ومساوئ الخلال . ولقد بينت كتبهم وبروتكولاتهم ووثائقهم مدى ما وصلوا إليه من كراهية وعداوة للجنس البشرى - عدا اليهود منه - وتعصبهم المقيت لليهودية . هذا التعصب استباحوا لأنفسهم من منطلقه اللاانسانى . إباحة دم غير اليهودى ومحاربته بشتى الوسائل . لقد لعنهم الله فى سور كثيرة من القرآن الكريم ومقتهم وحذر المسلمين من مؤامراتهم ودسائسهم ﴿ لعن اللذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (١).

أما عن موقف اليهود من الدعوة فى المدينة فكان موقف الخصم الألد . الذى يحاول بمكره وخداعه أن يتحالف مع الشيطان فى سبيل النيل من دعوة الإسلام والقضاء عليها . لكن مؤامراتهم باءت بالفشل انذاك رغم تعددها وتباين أساليبها وسنسوق للقارىء الكريم طرفاً من تلك المؤامرات والقضاء عليها وموقف الرسول (ﷺ) من اليهود .

مؤامرة يهود بنى قينقاع :

ذكر ابن اسحق . ان بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله (ﷺ) وحاربوا فيما بين بدر وأحد . وأول شىء نقضوا به العهد أن إمرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى

(١) الآيتان (٧٧، ٧٨) سورة المائدة .

قينقاع وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها »[1] .

ولما نقض بنو قينقاع العهد الذى بينهم وبين رسول الله (ﷺ) كان لزاماً عليه أن يردع هؤلاء ويؤدبهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم ممن ينقضون العهد ويهددون مسيرة الدعوة .

« فلقد حاصر رسول الله (ﷺ) وأصحابه يهود بنى قينقاع حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبى بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال يامحمد أحسن فى موالى وكانوا حلفاء الخزرج . فأبطأ عليه رسول الله (ﷺ) فقال يا محمد أحسن الى موالى . قال فأعرض عنه فأدخل يده فى جيب درع رسول الله (ﷺ) حتى رأوا لوجهه ظللا ثم قال ويحك «أرسلنى» فقال لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى أربعمائة حاسر وثلثمائه درع قد منعونى من الأحمر والاسود تحصدهم فى غداة واحدة ؟ إنى والله امرؤ اخشى الدوائر قال: فقال رسول الله (ﷺ) هم لك »[2].

وغنم الرسول (ﷺ) والمسلمون ما كان لهم من مال ولم يكن لهم أرض إنما كانوا صاغة وقد أخرجوا من المدينة . وكان الذى أخرجهم هو عبادة بن الصامت الأنصارى فبلغ بهم مكانا ثم ساروا إلى إذرعات بالشام فلم يلبثوا إلا قليلا حتى هلكوا »[3].

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٦٢٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الكامل لابن الأثير جـ ٢ ص ٥٧ .

مؤامرة بنى قريظة :

وهى المؤامرة التى عقدها اليهـود مع قريش على حرب رسول الله (ﷺ) وقد افرد القرآن الكريم لهـا سورة «الاحزاب» وملخص تلك المؤامرة أن يهود بنى قـريظة قد تحالفوا مع قريش على مـحاربة رسول الله (ﷺ) وأعدوا لذلك عدتهم . لكن الله سـبحانه وتعالى أطلع رسوله على مخططات اليهود مع قريش . جاء جبريل الى رسول الله (ﷺ) وقـال له إن الله تعـالى يأمـرك أن تنهض إلى بنى قـريظة . فاستـجاب الرسول (ﷺ) لأمر ربه وجـمع المسلمين وأمرهم أن لا يصلوا العصـر إلا فى بنى قريظة بعد أن صلـى بهم الظهر . ثم هرع المسلمون إليهم وحاصـروهم وحكم فيهم سعد بن معـاذ سيد الخزرج فرضـوا بحكمه . فقال سـعد : إنى أحكم أن تقتل مـقاتلاتهم - أى رجـالهم الأشـداء وتسبى ذريـتهم وأموالـهم . فقـال له رسـول الله (ﷺ) لقد حكمت فيهم بحكم الله ونفذ رسول الله (ﷺ) حكم سعد فقتل الرجال وسبى النسـاء وغنم الأموال »[1].

محاولة قتل الرسول (ﷺ) بطريق السم :

فلقد حـاولت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مـشكم ان تقتل رسول الله (ﷺ) عـن طريق دس السم فى شاة اهدتهـا إلى رسول الله (ﷺ) بعد أن سألت عن أى عضو بالشاه أحب إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرت بأنه الذراع فأكثرت فيه من السـم فلما تناوله الرسول (ﷺ) لفظه . وقال ان هذا العـظم ليخبـرنى أنه مسمـوم ثم دعاها فاعترفت فعفا الرسول (ﷺ) عنها .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٧٠٠ .

وإلى جانب ذلك فقد كان اليهود يشككون المسلمين فى عقيدتهم بل ويستهزئون بهذا الدين ورسوله. يقول تعالى ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا يؤمنون ﴾ (١) ذكر ابن اسحق . عن سعيد ابن جبير قال أتى رهط من يهود إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ قال فغضب رسول الله (ﷺ) حتى امتقع لونه ثم ساورهم- أى تحدث معهم بشدة غضباً لربه . قال فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه فقال خفض عليك يا محمد وجاء له من الله جواب ما سألوه عنه ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ ومن صور استهزائهم بالدين أيضا : انهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلا لأهلها وتنفيراً للناس عنها وعن الداعى اليها (٢) وفى ذلك يقول تعالى ﴿ يا أيها اللذين آمنوا لا تتخذوا اللذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من اللذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين . وإذا ناديتم إلى الصلاة إتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون﴾ (٣).

وكذلك موقفهم من تحويل القبلة . وفيه أفاض القرآن الكريم مصورا أراجيف اليهود ومحاولاتهم الخسيسة فى النيل من عقيدة المسلمين وبث الشكوك حولها يقول تعالى ﴿ سيقول السفهاء من الناس

---

(١) الآية ٧٦ من سورة البقرة .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٤١١ .

(٣) الآيتان ٥٦،٥٧ من سورة المائدة .

ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[1].

ذلك أنه لما هاجر الرسول (ﷺ) إلى المدينة أمره الله بالتوجه الى بيت المقدس فى الصلاة تأليفا لليهود وتحبيبا لهم للدخول فى الاسلام .

لكن اليهود إتخذوا من ذلك ذريعة للطعن فى الرسول (ﷺ) فقالوا محمد يخالفنا ويتبع قبلتنا . فحزن الرسول (ﷺ) لذلك وطلب من ربه عز وجل أن يوجهه إلى الكعبة قبلة أبيه إبراهيم «عليه السلام» فاستجاب الله لطلبه وحقق أمنيته التى طالما عبر عنها برفع وجهه الى السماء ضارعا وراجيا . . ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان اللذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾ [2].

« أما موقف الرسول (ﷺ) من اليهود فى المدينة فيمكن تلخيصه فيما يلى » :

١- الجدال بالتى هى أحسن ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴾ [3] والنفس القوية المؤمنة لا يعقل أبدا أن تنازل الادنياء بسلاحهم فلقد ظل الرسول (ﷺ) صابراً على عداوة اليهود له ولدعوته ولو شاء لأنتقم منهم لدين الله وفى يده من السلطان والقوة

(١) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١٤٤) من سورة البقرة.

(٣) الآية (٤٦) من سورة العنكبوت .

المسلحة ما يعينه على هذا لكنه ترك أمرهم لله .

حقا لقد أجلى رسول الله (ﷺ) بعضهم عن المدينة وقتل آخرين ولكن لم يكن هذا إنتقاما لما حرفوا فى الكتاب أو نحوه . إنما كان لأنهم نقضوا محالفتهم معه .

٢- دعوتهم إلى الإيمان بالرسل جميعاً وبالكتب السماوية كلها .

وهذه دعوة خالصة إذا وجهت إلى من يدعو إلى الله فرح بها ولا يضيق بأهلها . لكن اليهود ضاقوا برسول الله (ﷺ) حينما دعاهم إلى الإيمان بجميع الرسل والكتب ﴿ قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (١).

واستمر الرسول (ﷺ) على هذه الدعوة العامة يقررها ويثبتها فى إنسانية سمحة فسيحة . وهو موقف القوى بإيمانه الواثق من وعد ربه .

٣ - تذكيرهم بنعم الله عليهم وما خصهم به من فضل ﴿ يا بنى إسرائيل أذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين﴾ ﴿ واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾(٢).

وهذا أسلوب إذا تقربت به لأعدى اعدائك لان، وأسلس ولكن

---

(١) الآية (١٣٦) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٤٩) من سورة البقرة.

الأنانى الحاقد الذليل لا يرضيه إلا أن يخلو له وحده وجه الأرض .

ولقد كان الرسول (ﷺ) يطمع فى أن يؤمن به هؤلاء فقطع الله له كل طمع فيهم وقال له ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ﴾[1] .

ولعل ما ذكرنا يلقى الضوء على خصم من خصوم الدعوة فى المدينة . ظلت عداوته للدعوة الإسلامية منذ ظهورها وإلى عصرنا الحاضر . وهى عداوة لدودة وخصومة فاجرة عنيدة. فاليهود هم اليهود فى كل زمان ومكان .

المشركون وموقف الرسول (ﷺ) منهم :

أما المشركون فقد كانوا يتحالفون مع اليهود تارة ومع المنافقين تارة أخرى الى جانب حروبهم العديدة مع الرسول (ﷺ) وأصحابه . وكان هدفهم من ذلك كله هو القضاء على محمد وأصحابه سيما بعد هجرتهم إلى المدينة .

فلقد شعرت قريش بالهزيمة بعد هجرة المسلمين إلى المدينة واستقرارهم على أرضها وإفساح المجال أمام الدعوة خارج الجزيرة العربية ومن ثم جند المشركون أنفسهم وأموالهم وعتادهم لمحاربة الرسول (ﷺ) وأصحابه . وكانت غزوة بدر بداية للمواجهة الحقيقية بين جيش المسلمين وجيش الشرك من قريش . ثم توالت الغزوات بأحداثها ونتائجها إلى أن أتم الله للمسلمين النصر على قريش فى فتح مكة . ذلك الفتح الأعظم الذى انتهت به سلسلة من الصراعات القوية بين قوى الشرك من قريش وبين المسلمين فى المدينة.

---

(١) الآية (١٢٠) من سورة البقرة .

إنتصر فيها المسلمون على قوى الشرك ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وكانت لكل غزوة من الغزوات أحداثها وأسبابها ونتائجها . وقد تكفل القرآن الكريم وفصلت السنة النبوية تلك الغزوات والدروس المستفادة منها . .

على ان المسلمين لم يدخروا جهداً فى سبيل نصرة الدعوة ومؤازرة رسولهم (ﷺ) فى سلمه وحربه . بالنفس والمال والولد إلى أن كتب الله لهم النصر . وقد ذكرنا آنفا تشريع الإسلام للجهاد والحكمة منه ونخلص من ذلك بنتيجة هى . أن المسلمين فى المدينة قد واجهوا جبهات ثلاث كانت كل منها تحاول منفردة أو مع بقية الجبهات – القضا على الدعوة وانحسارها فى نطاق ضيق وإضعاف شوكة القائمين بأمرها وهذا يؤدى بلا شك للقضاء عليها لكن الله عز وجل . قد أعز جنده وصدق وعده وهزم أعداء الإسلام وحده . وما الخصوم التى واجهها المسلمون فى المدينة إلا نماذج من الإختبارات النفسية للدعاة الى الله .إختبارات فى الصمود . والصبر وتحمل المصاعب والتصدى للمشكلات بحكمة إلى جانب البذل والعطاء والإقدام والشجاعة [1].

هذا وبالله التوفيق

ا.د / حسن عبد الحميد حسن

عميد الكلية

---

(١) هذا البحث نقلنا مادته العلمية بتصرف من كتابنا الدعوة فى العهد المدنى دراسة تحليلية . بتصرف يسير.